دار الحديث الأشرفية

والمتحف العربي بدمشق

بعنوان « الخالدى » نشر الاستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام فى العدد الثامن والسبعين من « الرسالة » الغراء مجلساً من مجالس الأستاذ الكبير الشيخ خليل الخالدى ، وحسناً فعل ، فان أمثال الشيخ الخالدى بيننا قليل ، ويجب أن ينتفع بمعارفهم ونمرات بحوثهم . وحبذا لو عمد كل من يلقاهم أو يسمع منهم شيئاً إلى تسجيله ونشره ماداموا هم لم يدونوا مذكرات منظمة عن أبحاثهم ، فليس من السهل أن نجد شخصية مثل الشيخ الخالدى غزارة علم وسعة اطلاع ، وإن الأنسان ليعجب عند ما يستمع اليه وهو يتحدث عن كتاب نادر ، فيصفه وصف الدارس المطلع ، بل يتجاوز ذلك فى كثير من الأحيان فيذكر عبارات الكتاب سرداً عن بديهة . ثم ينتقل من وصف الكتاب الى ترجمة مؤلفه ، فيذكر الكثير من شأنه مما لا نجده فى كثير من البحث والدرس ، ثم ينتقل من ذلك الى عصر المؤلف ، وحال الحركة العلمية فيه وما الى ذلك ، فمجالس الشيخ الخالدى شائقة ممتعة نرجو الذين يجالسونه ويستمعون له تدوين مجالسه ونشرها على الناس كما فعل الدكتور عزام

عرفت الشيخ الخالدى فى دمشق أواخر سنة ١٩٢٩ ، أيام ترددى على دار الكتب العربية ، لذلك لفت نظرى مقال الدكتور عزام وقرأته بشغف شديد حتى أتيت على ذكر المدارس فى دمشق فاستوقفنى قوله : « ومن مدارس دمشق دار الحديث الأشرفية وهى دار المتحف العربى الآن » استوقفنى هذا كثيراً لأنى أعرف دار الحديث الأشرفية كما أعرف دار المتحف العربى وأن كلا من الدارين غير الأخرى ، فدار الحديث الأشرفية التى بناها الملك الأشرف موسى بن العادل ، ونجز بناؤها سنة ٦٣٠ هـ والتى درس بها جلة من العلماء مثل ابن الصلاح وابن الحرستانى وأبى شامة والنواوى والشريشى والفارقى وابن الوكيل وابن الزملكانى والحافظ المزنى والسبكى وابن كثير وغيرهم — هذه الدار لا تزال تؤدى رسالتها فى نشر العلم — وعلم الحديث بنوع خاص — الى يوم الناس هذا ، وقد اعتراها شىء من الفتور فى أواخر القرن الماضى حتى أرسل الله لها الفقيه الشيخ يوسف البيبانى المغربى ، فأعاد اليها حياتها ونشاطها ، ثم تولى شأنها من بعده المحدث الكبير الشيخ بدر الدين الحسنى ، ولا يزال يلقى دروسه فى دار الحديث الأشرفية ويحضرها الكثير من كبار العلماء . وأما المتحف العربى فى دمشق فهو دار المدرسة العادلية الكبرى التى تقع فى مواجهة المدرسة الظاهرية

والمدرسة العادلية التى بناها نورالدين محمود بن زنكى ولم يتمها ، ثم الملك العادل سيف الدين ولم يتمها أيضاً ، حتى أتمها من بعده ولده الملك المعظم ونسبها الى والده الذى دفن فيها فسميت العادلية

كانت هذه المدرسة من أمهات المدارس الخاصة بالشافعية فى دمشق [1] كما كانت مقر القضاة فيها

سكنها الكثير من كبار العلماء أمثال ابن خلكان والعلاء القونوى . وأبناء السبكى وابن مالك النحوى وابن جماعة

وفيها ألف ابن خلكان تاريخه المشهور وعلى بابها كان يقف ابن مالك يدعو الناس لحضور دروسه : ينادى هل من متعلم هل من مستفيد ؟ وحول بركة العادلية كان قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان يدور الليل كله حتى الصباح ويقول فى دورانه :

أنا . والله هالك آيس من سلامتى
أوأرى القامة التى قد أقامت قيامتى

ولما أسس المجمع العلمى العربى فى دمشق سنة ١٩١٩ م جعلت مقر المجمع ، وهى الآن تضم المجمع العلمى والمتحف العربى وقاعة المحاضرات التابعة للمجمع . وعلى ذكر العادلية وشغل المجمع العلمى لها أقول : إن المجمع وضع يده أيضاً على المدرسة الظاهرية التى أنشأها الملك الظاهر بيبرس ودفن بها هو وابنه الملك السعيد

والظاهرية كانت مدرسة ودار حديث معاً ، درس بها الأذرعى والأخنائى والسويدى والأسدى والزعيني والواسطى

فتسلمها المجمع العلمى العربى وجعلها مقر دار الكتب العربية فى دمشق ، وخص القبة الظاهرية المزينة بالفسيفساء البديعة بالمخطوطات المحفوظة فى الدار ؟

بهاء الدين محمد الراعى

(١) كانت فى دمشق مدارس لكل مذهب من المذاهب الأربعة كما كانت فيها دور للقرآن ودور للحديث ، ويجد القارئ الشىء الكثير عنها فى تنبيه الطالب للشيخ عبدالقادر التميمى . ومنادمة الأطلال للشيخ عبدالقادر بدران . وفى خطط الشام للأستاذ محمد كرد على عضو المجمع اللغوى الملكى بمصر